الدين

بين صديق جاهل ... وعدو عاقل

للاستاذ محمود محمد عماره

المدرس بمعهد دسوق الدينى

عرفنا كيف أحكم الله بهذا الدين بناء الإنسان المادى والروحى . . بحيث أصبح وسيلة فعالة لتعمير الحياة . . والمحافظة على الأمن فيها .

ووضح لنا أن هذا الدين المجيد دعوة . لادعاية . ورسالة . لاسياسة .

رسالة . بزغت شمسها فوضعت الحرب أوزارها . . وانقلب البشر بنعمة الله إخوانا .

ومع هذه الآيات البينات . فهناك أناس ينكرون الشمس فى رائعة النهار ويقولون : إن الدين قد ذهب بأمن الحياة !! ؟

وإذا كان الإسلام - وهو خلاصة الأديان - وردة ناضرة تنشر أريج الحب والسلام . . فإن لهذه الوردة شوكا تدافع به عن نفسها . . إذا ماجد الجد . . وحمى وطيس المعركة بينه وبين أصحاب العقول الوافدة من الغرب .

أصحاب المذاهب الهدامة . . التى ابتدأ بناؤها يتداعى . . فاتخذوا من أنقاضه حجارة يرمون بها حصنه المنيع .

وسنقف الآن أمام كلمات جاءت فى مجلة العربى فى عدد سابق على لسان محررها :

« الحى يسعى لتأمين الحياة . وبالدين هو يسعى لتأمين ما بعد الحيـــاة . . والتجربة الإنسانية عبر القرون دلت على أن الدين وهو سبيل الناس لتأمين

ما بعد الحياة . . ذهب بأمن الحياة ذاتها (١١)

فلم يبق عاقل يفكر . . يستمسك بحرية الفكر التى هى هبة من هبات الله إلا أن يقول اليوم :

دعوا الناس تسلك إلى الله أى طريق تشاء ! »

وقد كنت أوثر السكوت أمام هذا الهراء . . لأنه لا يصبر على النقد الصحيح . . وهو كما يقولون : أوهى من إيمان المنافق . . وأضعف من قلب العاشق !

بيد أنه قد تراءى لى أن هناك قلوبا فارغة . . قد تستقبل هذا النباح فى شوق غامر . . وعند ما تصادف الفكرة قلبا خاليا . . تتمكن !

وواقع الناس فى دنياهم يفصح عن وجود هذا الطراز من البشر خاصة بين طوائف المتعلمين .

وإزاء هذا . . أجدنى أكشف عن ساق . . وأشمر عن ذراع . . لأفند هذا الزعم ما استطعت إلى ذلك سبيلا :

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » .

أيها الكاتب :

إن الدين لم يذهب بأمن الحياة . . ولكن سوء تطبيقه هو الذى أطاح به !

فهناك شىء اسمه المسلمون . . وشىء آخر اسمه الإسلام . وفرق واضح بين الاثنين :

فإذا نبذ المسلمون مبادىء دينهم واتخذوا إلههم هواهم :

إذا ما غاب عبد الحليم حافظ فحسبوا مدة غيابه « بالثانية » .

إذا ما حفظوا أولادهم أغانيه وأهملوا كتاب ربهم .

إذا ما حرصوا على أقتناء الثياب . . ونسوا أدخار الثواب .

إذا ما وصل المسلمون إلى هذا الدرك . . فما ذنب الإسلام .

أيها العزيز ؟

ولو أن أهل « الدين » صانوه صانهم

ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا

محياه بالأطماع حتى تجهما

ثم إن الكاتب ينادى بحرية الفكر المفترى عليها . . فرارا من الدين بتكاليفه وأعبائه .

وهذا كلام يذكرنا بنغمة قديمة سمعناها . . فنبذناها .

وهى أن الدين لا يعيش إلا فى ظلال السلطان .

بينما لا تعيش الفلسفة إلا فى جو حر طليق .

ومن هنا ترى هذا الكاتب وأمثاله يؤمنون بالفلسفة أكثر من إيمانهم بالدين .

مع أن الفلسفة لا تخاطب فى الإنسان إلا جانبا واحدا .

بينما يلمس الدين ملكات الإنسان كلها :

والفلسفة رأس نابع من قلب مخلوق . . والدين مبدأ شرعه الخالق .

وأين قدرة المخلوق من قدرة الخالق ؟

والتاريخ نفسه يكذب هذا الزعم الخاطىء .

فقد أراد الله لهذا الدين أن ينشأ فى أرض عربية . . على يد رسول عربى .

كانت هناك أمبراطورية صينية .. وأخرى هندية . وثالثة ورابعة .

ولكن الله الحكيم لم يكتب له الميلاد هناك .

لأن فى الهند والصين حكومات وجيوشا تستطيع أن تتحكم فى سير هذا الدين . . فيولد . ليموت !

أما فى بلاد العرب . فليست هناك حكومة ولا جيوش .

وإنما حرية وانطلاق . . على يد عربى أولى صفاته عشق الحرية وحب الإنطلاق .

واقرأ إن شئت قوله تعالى :

« ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه » .

فلك مطلق الحرية فى اختيار أى إله تشاء .

ولكن على شريطة أن تبين دليلك الذى ساقك إلى اختياره !

وهذا حجر الزاوية فى بناء الإسلام . بيئة حرة . تنبت فيها مبادىء الحرية . على يد زعيم تضافرت عوامل البيئة . وعوامل التربية على أن يكون خير هاتف بها .

والكاتب يدعو إلى فتح الأبواب على مصاريعها ليسلك الناس أى طريق إلى الله .

والسؤال الآن : أى الطرق أفضل فى الوصول إليه تعالى ؟

طريق يرسمه الذى يعلم السر وأخفى .. أم طريق يحدده إنسان لا يرى أبعد من أنفه ؟

طريق يوضحه من يعلم الماضى . . والحاضر — والمستقبل أم طريق يوضحه إنسان لايعرف نوع غذائه بالأمس ؟ !

نعم إنه طريق يحدده الحكيم البصير والقاعدة الشرعية تقول . « لايعبد الله إلا بما يشرع » .

وإذا كان صانع الطائرة هو أدرى الناس بدقائق تركيبها . . وطرق استعمالها . .

كذلك . . لايعلم سر الإنسان إلا خالق الإنسان .

إنه طريق الدين . . بعباداته ومعاملاته وعقائده . .

وهو وحده الربوة السامقة التى يلجأ إليها البشر فرارا من موجات الألحاد الطاغية . .

وما أروع ما قاله المرحوم الشاعر على الجارم ناعيا على أمثال هؤلاء الفارغين الذين يستوردون آراءهم من الغرب :

سكت العندليب فى قمة الدو
ح وغنت نواعق الغربان
أسمعونا من النشوز أفا
نين يرعن صادح الألحان
أسمعونا برغمنا فصبرنا
ثم ثرنا غيظا على الآذان
جلبوا للقريض ثوبا من الغرب
وما جلبوا سوى الأكفان !!

أنا سأسلم مع محرر مجلة العربى أن الدين قد ذهب بأمن الحياة . .

ولكنى أسأله : أية حياة هذه التى ذهب الدين بها ؟ إنها حياتكم الفارغة . العاطلة . . حياة لا خير فى كثير من نجواها . .

حياة تضيعون فيها بياض النهار فى جدل لايسمن ولا يغنى من جوع . .

وفى حمرة لياليكم . . تساقط الفضيلة مثخنة بالجراح بين وهج المصباح . . ورنين الأقداح !

وما أمر صديق الإسلام الجاهل ببعيد . . ذلك الشيخ الذى أذن فى الناس :

بأن يطهر كل إنسان ضميره . . وينقى قلبه . . ولو لم يمارس شعيرة من شعائر الدين :

وكأنى بالإسلام المفترى عليه يهتف :

كنت مغرورا بكم إذ كنتمو
شجرا لا تبلغ الطير ذراها

لا تنام الليـــل إلا حولها
حرس ترشح بالموت ظباها
وإذا امتـــدت إلى أغصانها
كف جان قطعت دون جناها

فتراخى الأمر . . حتى أصبحت
هملا . . يطمع فيها من يراها
وكأنى به أيضا يصرخ قائلا :
اللهم احمنى من أصدقائى . . أما أعدائى فأنا كفيل بهم ! فماذا يقول هؤلاء الأعداء . . وما هى نظرتهم إلى الدين وأثره فى تقويم النفوس . . فى الوقت الذى يتنادى فيه أصدقاء الاسلام الجاهلون بالفرار من تكاليفه . . والخروج من حظيرته :

يقول « ولسن » رئيس الولايات المتحدة الأسبق :

« حضارتنا إن لم تنقذ بالمعنويات فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها. وأنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها » .

والمارشال مونتجمرى يخطب فى الجيش الثامن فيقول :

« إن أهم عوامل الانتصار فى الحرب هو العامل الاخلاقى . . ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم فى العمل إلا إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى مايعملونه . . ويقينى أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى . . إن خطر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو . . ولذلك لا نستطيع أن ننتصر فى معركة إلا إذا انتصرنا على نفوسنا قبل كل شىء » .

فأين منطق رجال الغرب الذين تاهوا بين ضجيج المصانع وصخب المجامع . . أين منطقهم من منطق رجال الشرق . . مهبط الرسالات . . ومهدها الناعم الحنون ؟ ! !

وقد كنت أريد أن أودعك ياقارئى العزيز عند هذا الحد . . غير أن مجلتنا الحبيبة « الإسلام والتصوف » وافتنى فأبصرت على صفحاتها صديقا للأسلام . ولكنه صديق عالم !

وكان خائض الماء لابد له من بله . كذلك لابد للكاتب من زلة !

يقول الأستاذ عبد الرحمن العطار تحت عنوان « الأخاء والمساواه » « وما فتىء رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل المسلمين على الأخوة . . ويدفعهم إلى وسائلها باللين تارة . . والعنف أخرى » .

وأحب أن أقول لفضيلته إن الرسول الكريم لم يلجأ للعنف أبدا حتى فى دعوته المشركين للإســـلام . . والحركات العسكرية التى قام بها . . إنما كانت ردا لعدوان وقع أو يوشك أن يقع . . تأمينا للدعوة وحماية لها . .

ونجاح الإنسان فى نشر فضيلة طويت . لايتوقف على مبلغ عنفه فى الدعوة إليها .

ولكن . على قدر رسوخ المرء فى فضيلة من الفضائل يكون نجاحه فى نشرها .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيقا عمليا لهذه الصفة . . كان أخ الكبير . وأب الصغير . إنه الوجه المشرق الجميل . لهذه العاطفة الشريفه . التى اختلطت بالأطماع والأحقاد . ففاض رواؤها . . ووجد الناس فيه طرازا فريدا لما يألفوه من قبل . يضاف إلى ذلك . أن ذوات المسلمين . أعدها الله سبحانه وتعالى . لتكون خير تربة أعدت لتلقى هذه البذور .

ولما ساحوا فى الأرض كانوا صورة للأخوة . وللحب الطاهر العفيف . . فكتب لهم النجاح .

ولا يمكن أن يكون للعنف مجال والحالة هذه : فهنا قائد ذكى العقل . . كبير القلب . ومعه جنود أوفياء شرفاء . يحدوهم الشوق إلى الفضيلة ، فكان التفاعل بين الطرفين . ورست دعائم الإخوة . وانتشرت أعلامها .

وفى موضع آخر يقول الأستاذ العطار :

« وأزال الحواجز بين البيض والملونين . وجعل الناس فى نظره سواء . لافرق بين غنى وفقير ، وعالم وجاهل » .

وصحيح أن اللون فى الإسلام لايترتب عليه جزاء .

لأنه شىء ولدمع الإنسان ولاحيلة له فيه .

والفقر أيضا ليس عيبا يشين الانسان ويحط منزلته بين الناس . . لأن الغنى ليس دليلا على نقاء القلب . كما أن الفقر لم يكن عنوان سواده !

وكم من أناس رن فى أيديهم الذهب . وفاح من حولهم العطر . ولكن . لو قدر لك أن تصل مركز الشم عندك بما فى قلوبهم لشممت رائحة الجيف !

وكم من فقراء خمص البطون .

شعث الرءوس . ولو كشف لك الغطاء عن قلوبهم . لشممت روحا وريحانا . يحس ولا يوصف ! ! .

و « رب أشعث أغبر . لو أقسم على الله لأبره » غير أنى لا أوافق مطلقا على أن الاسلام نظر إلى العالم والجاهل بعين واحدة !

كيف . وأول آية نزلت على الرسول الكريم دعوة إلى العلم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

وتسوية العالم بالجاهل انتكاس . وإجراء مضاد لهذا المبدأ الخالد !

وحتى فى ميدان الصناعة والزراعة لايسوى بين عالم وجاهل .

« هل يستوى الذين يعلمون . والذين لايعلمون » ؟ !

« إنما يخش الله من عباده العلماء » فالعلم وصول بالانسان إلى مخ العبادة ولبابها . بحيث يتذوق الانسان طعمها . ورب فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد لم ينفذ بعقله إلى حكمة التشريع .

وتلك نظرات لاتؤثر على مقال أستاذنا الشيخ العطار . . ومرحبا به جنديا من جنود الاسلام . أضع يدى فى يده . لنقف معا فوق منبر هذه المجلة الحبيبه . لنقف على حصن الاسلام المنيع . لنزجر ديكا صاح على غير جداره . وكلبا نبح فى غير داره !

محمود محمد عماره

المدرس بمعهد دسوق الدينى

المجـــلة :

تشكر لفضيلة الأستاذ محمود محمد عماره غيرته الدينية ، وتحقيقاته العلمية ، وفى نفس الوقت تعتقد أن فضيلة الأستاذ عبد الرحمن العطار . حينما قال فى مقاله : إن الإسلام قد جعل الناس فى نظره سواء ، لافرق بين غنى وفقير ، وعالم وجاهل : إنما قصد المساواة فى الحقوق والواجبات العامة ، وهى من مفاخر الإسلام ومن آياته ، ولم يستهدف بحديثه الموازنة أو المفاضلة الفنية بين العلماء وغيرهم .

وكذلك حينما قال فضيلته إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه : كان يحمل المسلمين على الأخوة ، ويدفعهم إلى وسائلها باللين تارة ، والعنف أخرى : إنما قصد حرص الرسول صلوات الله عليه على غرس

هذا المعنى الكريم النبيل فى قلوب العرب الذين عاشوا حياتهم قبل البعثة يتفاخرون بالانساب ، ويتباهون بالأصول والأعراق ، فجاء الإسلام ليحطم كل هذه المعانى القبيلية الجاهلية ، ليقيم مكانها أخوة اسلامية عالمية ، قوامها الحب والمساواة ، أخوة لاتعرف الالوان ولا الجنسيات ، ولا العصبيات ، إنما سواسية كاسنان المشط ، لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

والكلمة بعد ذلك للاستاذ العطار إذا شاء :

التحرير

لجنة تعديل لائحة الطرق الصوفية

أصدر سماحة السيد محمد محمود علوان قراراً بتكوين لجنة لاعادة النظر فى لائحه الطرق الصوفية أو تعديلها بما يتسق مع نهضة الطرق الصوفية الحاضرة

وقد تشكلت اللجنة على الوجه التالى :

١ - شيخ مشايخ الطرق الصوفية رئيساً
٢ - أعضاء المجلس الصوفى الاعلى الثمانيه
٣ - السيد ميرغنى الادريسى
٤ - « محمد حسن شمس الدين
٥ - « محمد زكى ابراهيم
٦ - « محمود فضل
٧ - « طه عبد الباقى سرور .. ويتولى سيادته سكرتاريه اللجنة
٨ - « مندوب الأزهر
٩ - « « مجلس الدولة
١٠ - « « دار الافتاء
١١ - « « وزارة الاوقاف
١٢ - « « وزارة الثقافه الارشاد
١٣ - « « وزارة الداخليه
١٤ - « « وزارة الشئون الاجتماعيه